الحب إكسير الحياة

بقلم: يوسف عبدالرحمن
y.abdul@alanba.com.kw

يـا الله.. هل لكـم أن تتخيلوا هذه الدنيا من غير حب؟!

يا الله.. كلمة من حرفين تأسر الإنسان، أي إنسان، وإن تملكته فهي دواء للمحزون والمكلـوم والمظلوم والمعاق والسـوي والجريح والمريض والأسير.. هي دواء كل بني آدم.. ما السر؟!

أيها الأعزاء من القراء، دعوني آخذكم في استراحة بعيدا عن الكره والعداوات والزعل والكآبة إلى عالم فسيح من الحب الراقي الجميل.

يا الله.. كم يتعب هذا الإنسان! وكم يشقى كل البشر حتى يحصلوا على كلمة حب، وهي مـن الروائع التي لا يعلمها إلا الله، لأن هذا الحب يسـير في سناه كل طالبه، وهو مشعل كل راغب ذاهب إليه.

أعلم يقينا أن ملايين البشـر يسري الحب فـي دمائهم عبـر الأوردة، وهو يحول نقاشـهم إلى هناء، ومرهم إلى حلو، وكدرهم إلى صفاء، وسقمهم إلى نعمة، وألمهم إلى شفاء، وليلهم إلى نهار وظلامهـم إلى نور، يذيب الجمر ويلين الحديد، خاصة ان كان حب سمو وترفع وعلو، حبا عذريا شفافا لا غبار عليه.

إلـى كل مـن يبحثون عـن الحب الحقيقي، دعوني أعرّفه لكم بحكم تجربتي المتواضعة، وما قرأت عنه وما شاهدت من هذا الحب وأصله ومشتقاته وأشعاره وأقواله وانواعه.

في هذه الاسـتراحة أود بالفعل أن أجعل القارئ يحلق معي في سماء وأفق هذا الحب الراقي الذي يبتسم له الثغر ويشفى به الفؤاد ويسري في عروقكم حبا وحياة.

لـم هذا الحـب معنا مـن المهد إلى اللحد؟

ولماذا هو أشكال وألوان منه الحلال ومنه المحرم؟

الحب يجعل الحياة ذات طعم ولون ورائحة، والكره عكسه تماما، فالحب وردة والكره شوكة، والحب هو الدواء الإلهي لكل شيء، فالعداوة في أشد مواضعها يطفئها الحب.

الحب هو المبرر لنا كي نحيا سعداء في هذا الكون الفسيح بكل فئات البشر واللغات وتسابيح المحبين وزفرات الثكالى فاقدي هذا الحب.

في مشاهد الحياة بكل حلوها ومرها، هناك محطة وحيدة يقف عندها الجميع دون اسـتثناء، وهي المسافة المشتركة للحب بكل حلاوته ودموعه وضحكاته وأناته وآهاته، بـاب يلج فيه الجميع، كل منا يحاول الكسـب المشروع وغير المشـروع، وجبي الغنائم دون قواعد، والأفضل أن تكون بقواعد سنها الله- سبحانه وتعالى- لنا، لأن باب هذا الحلال فيه مشاعر نبيلة وقواعد شرعية أصيلة وتواد وتراحم وفطرة.

أوليس هذا الخلق من البشر رسالتهم عمارة الأرض بكل الحب؟!

إذن لماذا هي الحروب؟

العيب ليس في الحب، بل في البشر ذوي الاطماع والقلوب السوداء الملطخة بالدماء.

إنني اليوم أكتب عن الحب لكل جيلي وكل أولئك الشـباب «الحلوين» الذين هم في عمر الزهـور، وأقول لكل منهم علنا وهمسـا: رتب أولويات الحب في حياتك، وأقدم بشـجاعة على ممارسة الحب العذري الخالي مـن الدنيا، وما أنت أهل له، فليس والله هناك أسهل من الحب، ومع هذا كله ليس هناك أصعب منه، وتقول لي: كيف؟

نعم، عزيزي القارئ الكريم: الحب هو الضمان اليوم لمواجهة كل أعباء الحياة من مشقة وتعب ونصب وشقاء وألم، والحب وحده قـادر على أن يزيح عن كاهلك كل هذه المشقات.

الله سبحانه وتعالى أكرمنا ووضع في قلوبنا شيئا جميلا اسمه الحب، يكبر في داخلنا وله علاقة بكل من يحيط بنا، فأنت تحب الوالدين ووطنك وقادتك واسرتك ومجتمعك، إذ ن الحب هو الطريق المعبد لكل احوال التنمية المنشودة، فلا رقي في أي مجتمع ما لم يسده الحب!

وليس هناك اسرة متماسكة من دون هذا الحب، بل ليسـت هناك حياة ما لم يكن في قلبك الحب.

إذن منطـق الحب السـائد ان تحب بتوازن حتى لا تصل إلى الزلازل.

الاستراحة اليوم نوعية في توجهها، فهي عن الممنوع المسموح «الحب».

واسمحوا لي قرائي الاعزاء أن آخذكم في هذا السـبت بعيدا عـن اليهود إلى مسـاحات الحب وروعته ومشـاعره وسطوره.

من أجـل الذين أحبهم أقول وأكتب: لولا وجود الحب في حياتنا لبحثنا عن الحب لأنه شـجرة الفرح ونور الحياة والشيء الذي لا يموت!

الحب لم يكن فقط من خيال الشعراء، لا بل مارسـته البشـرية بكل ألوانها وأجناسها ولغاتها مع ما هو حب حقيقي أو هوى عابر.

اليوم استراحتي لكم عن الحب، وعلى بركة الله نبدأ:

ما هو الحب؟

أكيد أسمع وأقرأ وأنتم معي أن الحب إعجاب وانجذاب نحو شخص معين، وكما قال العلماء: هناك هرمون يفرز في حالة الحب اسمه «الاوكسيتوسين»، بـ«المفتشـر» والمفضـوح «هرمون المحبين»، وطبعـا يزيد أثناء تواجد الطرفين إن كان حلالا أو حراما!

وعربنا أسموه «الغرام»، ولنا فيه قصص وعبر من امرئ القيس الى عنترة بن شداد الى قيس بن الملوح أو قيس بن ذريح.

إخواننا اللغويون يفسرون الغرام بالتعلق وهو تعلق لا يستطاع التخلص منه، ويعني ايضا «العذاب الدائم الملازم»، وكلنا قرأنا القرآن الكريم (إن عذابها كان غراما)، نعوذ بالله من النار، والمغرم: هو المولع بالشيء لا يصبر على مفارقته، وأغرم بالشيء: أولع به فهو مغرم.

وقيل: انه مأخوذ من الحُباب، وهو الذي يعلو الماء عند المطر الشديد، لأنهم هنا يشبهون غليان القلب وثوراته ولوعاته عند الاضطرام والهياج والاهتياج الى لقاء المحبوب بهذا التشبيه، وقيل ايضا: انه من الحب جمع حُبة وهي لباب الشيء وأصله لأن القلب في الإنسان أصل كيانه وحياته فهو لبه ومكمنه.

ويبقـى الحب موجـودا بأكثر من تعريـف وتصريف ومكانـه القلب لا العقـل، وفي الحديث الذي رواه الإمام احمد تصديق ذلـك، إذ قال النبي ﷺ «حبك الشيء يعمي ويصم».

انواعه

قد يسألني سـائل «ملقوف»: وهل للحب أنواع؟

نعم، وأنواعه كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- الحب الإلهي.
- الحب الأخوي.
- الحب العذري.
- حب النفس.
- الحب الأفلاطوني.
- الحب الرومانسي.
- الحب الجنسي.
- الحب المادي.
- الحب العفيف.
- حب غير متبـادل (من طرف واحد، وهو أقسى أنواع الحب).

وهناك حب جديد للأسف بدأ ينتشر هو:

- حب الدينار.
- حب الفساد.
- حب الرشوة.
- حب الحراك السياسي.
- حب مخالفة غرامة «الجوازات»
- حب الكوكسه «الشقلبة»، وهذه براءة اختراع لصديق نجح في تطبيقه.

وتتعدد أنواع الحب بين عذري وعاطفي ومصلحي ومـادي، ويبقى ما دوّن عن الحب شعرا أسمى وأروع وأكمل وأجمل.. اقرأوا وتمتعوا واستمتعوا:

خيالك في عيني وذكراك في فمي
ونجواك في قلبي فأين تغيب؟!

مسميات الحب

للحب أسـماء كثيـرة، منها ما هو معروف مثل المحبـة والهوى والغرام والعشـق.. وربما هناك أسماء جديدة في الطريـق غير ان المخلد هو ما كتبه المحبون في أشعارهم، ودُوّن في بطون الكتب، وهو يعبـر بصدق عن عاطفة الرجل للمرأة والعكس صحيح، وأعرض لكم أسماء الحب ومراحله، أجارنا الله منها، لأنه كلما ارتقى صار صعبا، وهو داء ليس منه بد، وعددوا معي أسماءه ومراحله:

الهوى

يقال إنه ميل النفس، وفعلُهُ: هَوِيَ، يهـوى، هَوىً، وأما: هَـوَى يَهوي فهو للسـقوط، ومصدره الهُوِيّ. وأكثر ما يستعمل الهَوَى في الحبّ المذموم، كما فـي قول القرآن: (وأمّـا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجَنّة هي المأوى).

وقد يسـتعمل في الحـب الممدوح اسـتعمالا مقيدا، منه قول النبي محمد ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هَواهُ تبعاً لما جئتُ به» (صححه النووي).

الصَبوة

وهي الميل إلـى الجهل، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان «يوسف»:

(وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهنّ وأكن من الجاهلين).

والصَبوة غيـر الصَبابة التي تعني شدة العشق، ومنها قول الشاعر:

تشكّى المحبون الصَبابة ليْتني
تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

الشغف

وهو مأخوذ من الشّـغاف الذي هو غلاف القلب، ومنه مـا جاء في القرآن واصفـا حال امرأة العزيـز في تعلقها بيوسف: (قد شـغفها حُباً)، قال «ابن عبـاس» ما في ذلك: دخـل حُبه تحت شغاف قلبها.

الوجد

هو الحب الذي تتبعه مشقة في النفس والتفكير فيمن يحبه والحزن دائما.

الكَلَفُ

هو شدة التعلق والولع، وأصل اللفظ من المشقة، قال الشاعر:

فتعلمـي أن قد كلفْـتُ بحبكم
ثـم اصنعي ما شـئت عن علم

العشق

العشق فرط الحب، وقيل هو عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته، قال الفراء: العشق نبت لزج، وسُمّي العشق الذي يكون في الإنسان لِلصُوقهِ بالقلب.

النجوى

الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حُزن.

الشوق

هو سفر القلب إلى المحبوب، وارتحال عواطفه ومشاعره، وقد جاء هذا الاسم في حديث نبوي إذ روي عن «عمار بن ياسر» أنه صلى صلاة فأوجز فيها، فقيل له: أوجزت يا «أبا اليقظان»! فقال: لقد دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ يدعـو بهن: «اللهـم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلـق، أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي، وأسـألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسالك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسالك القصد في الفقر والغنى، وأسالك نعيما لا ينفد، وأسالك قرة عين لا تنقطع، وأسـألك الرضا بعد القضاء، وأسالك بَرد العيش بعد الموت، وأسالك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداة مهتدين».

وقـال بعض العارفين: «لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه، ضرب لهم موعدا للقاء تسكن به قلوبهم».

الوصب

وهو ألم الحب ومرضـه، لأن أصل الوصب المرض، وفي الحديث الصحيح: «لا يصيـب المؤمن من همّ ولا وصب حتى الشوكة يشـاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه».

وقد تدخل صفة الديمومة على المعنى، وذكر القرآن:

(ولهم عذابٌ واصبٌ ـ الصافات: 9)

وقال سبحانه:

(وله الدين واصباً ـ النحل 52).

الاستكانة

وهي من اللوازم والأحكام والمتعلقات، وليست اسـما مختصا، ومعناها على الحقيقة: الخضوع، وذكر القرآن الاستكانة بقوله: (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ـ المؤمنون: 76)، وقـال: (فما وَهَنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضَعفوا وما استكانوا ـ آل عمران: 146). وكان المحب خضع بكليته إلى محبوبته، واستسلم بجوارحه وعواطفه، واستكان إليه.

الوُدّ

وهو خالص الحـب ولطفه وأرقّه، وتتلازم فيه عاطفة الرأفة والرحمة، يقول الله: (وهو الغفور الودود ـ البروج: 14)، ويقول سبحانه: (إن ربي رحيم ودود ـ هود: 90).

الخُلّة

وهي توحيد المحبـة، وهي رتبة أو مقام لا يقبل المشاركة، ولهذا اختص بها في مطلـق الوجود الخليلان «إبراهيم» و«محمد» عليهما السلام، ولقد ذكر القرآن ذلك في قوله تعالى:

(واتخذ الله إبراهيم خليلاً ـ النساء: 125)

وصح عن النبـي محمد بن عبدالله ﷺ انـه قال: «لو كنـت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن»، وقيل: لما كانت الخلة مرتبة لا تقبل المشـاركة امتحن الله سـبحانه نبيه «إبراهيم» الخليل بذبح ولده لما أخذ شعبة من قلبه، فأراد سبحانه أن يخلّص تلك الشعبة ولا تكون لغيره، فامتحنه بذبح ولده، فلما أسلما لأمر الله، وقدم إبراهيم محبة الله على محبة الولد، خلـص مقام الخلة وصفا من كل شائبة، فدي الولدُ بالذبح. ومن ألطف ما قيل فـي تحقيق الخلة: «انها سميت كذلك لتخللها جميع اجزاء الروح وتداخلها فيها».

قال الشاعر:

قـد تخللت مسـلك الروح مني
وبـذا سُـمّي الخليـل خليـلا

الغرام

وهو الحب الـلازم، ونقصد باللازم التحمل، يقال: رجل مغرم، أي ملزم بالدين، قال «كُثيِّر عَزّة»:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
و«عزة» ممطـول مُعنًى غريمها

ومن المادة نفسها قول الله- عز وجل- في القرآن الكريم عن جهنم: (إن عذابها كان غراما)، اي لازما دائما.

الهيام

وهو جنون العشق، وأصله داء يأخذ الابل فتهيم لا ترعى، والهيم (بكسر الهاء) الابل العطاش، فكأن العاشـق المستهام قد اسـتبد بـه العطش الـى محبوبه، فهام على وجهه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وانعكس ذلك على كيانه النفسي والعصبي فأضحى كالمجنون، أو كاد يجن فعلا على حد قول شوقي:

ويـقـول تـكـاد تُجـنُّ به
فـأقـول وأوشـك أعـبُـده
مـولاي وروحـي فـي يده
قـد ضـيّعها سلِمت يده

الحب في الأديان

من يقرأ الكتب والمؤلفات والمراجع يجد للحب وجودا في النصوص في كل الأديان المقدسة، الإسلام واليهودية والمسيحية.

ففي الإسلام جاء في الحديث الشريف: «لم ير للمتحابين مثل التزوج» وجاء بلفظ آخر «التزويج» ولفظ «النكاح».

وجاء في حديث شريف آخر: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». وفي المسيحية عندما تقرأ النصوص تجد ان كل طرف (الرجل والمرأة) عليه ان يحب شـريكه كنفسه، ولأن الزواج رباط روحي يتسـاوى فيه الرجل مع المرأة فيكون كل منهما مساويا ومكملا للآخـر، والمفروض ان تدوم هذه الرابطة حتى الموت «إذن ليسا بعدُ اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان».

قالوا عن الحب

هنـاك أقوال كثيرة جـدا هنا وهناك، كتبها أمـوات وأحياء حول هذا «الحب»، وقد اخترت لكم هذه السطور:

ـ قـد تنمو الصداقة فتصبح حبا، ولكن الحب لا يتراجع ليصبح صداقة.

ـ الأشرار يطيعون بدافع الخوف، والطيبون يطيعون بدافع الحب.

ـ لا تقـل احبها لكذا، بـل أحبها رغم كذا وكذا وكذا.

ـ «اجعـل قلبك كالقبر يدخله واحد، ولا تجعله كالبئر يشـرب منها من يشاء».. هذا نحيس!

ـ من أحبك لأمر ما كرهك لمجرد انتهائه.

ـ قد يبيع الإنسان شيئا قد شراه، ولكنه لا يبيع قلبا قد هواه.

بس كلمة..!!

لو تكتب كلمة..
ورا كلمة
وشكلك الكلمات
لا معنى للسطور كلها:
وما كانت فيها..
بس كلمة:
«أحبك»!!

وهالكلمة تجيب بسمة
والبسمة..
تجر بسمات
فتضحك السطور كلها:
إذا نسيت منها..
بس كلمة:
«أحبك»!!

تعيش بالحبّ والنسمة
لو كان الهوى..
خذ وهات
فتحس إنّ السطور كلها:
تجمعها معاني..
بس كلمة:
«أحبك»!!

عبدالسلام مقبول

همسة

وقفت بالأمس على قبرك وناديتك «أبا عذبي»..
وناجيتك قائلا: بني علّمت والدك درس عمره، ففي وفاتك رأيت ولمست وعايشت الحب الفياض لك من الناس، كبيرهم وصغيرهم.
لو قيل لي قبل: ما الحب؟ لتاهت، والله، مني الإجابة، لكنني اليوم أدري كيف يوصف الحب، وبفقدك أصبح عندي يُعرف.
طب مقاما في ثراك، فما الحياة إلا دار عبور، وليس ثمة حب يُنتسى.. فكل حب ذكراه.. وذكراك جميلة..

آخر الكلام

الشيخة د.سعاد الصباح

قالوا إن الشاعر فاروق شوشة هو شاعر الحب، وربما يعـود هذا إلى أنه جمع أكثر من 20 قصيدة حب جميلة من الشـعر العربـي، وألزم نفسـه بالغوص في أعماقها وبيان مواطن الجمال فيها، غير أنني منحاز إلى الشيخة سـعاد الصباح الشاعرة والكاتبـة التي كتبت عن الحب فـي أجمل معانيه، خاصة الأشعار التي أهدتها الى زوجها الشيخ عبدالله المبارك، طيـب الله ثراه ومثواه. تقول:

خذني الى انوثتي
خذني الى حقيقتي
خذني لما وراء الوقت
والايام
خذني لما وراء البوح
والكلام
فإنني اريد ان انام
ما أجمل السكنى معك
على حدود الضوء
والسحاب
أو تحت جفني كلمة
أو دفتي كتاب
ما أجمل الهروب في الفجر
معك
من غير تفكير..
ولا خوف.. ولا ندامة

من المؤكد أن كل زوجة حانية تتمنى أن تقول هذه الكلمات الراقية الجميلة لزوجها لأن الزوج وطن وسكن.

أيها القـراء، أتمنى أن تكون استراحة هذا السبت قد أسعدتكم، وعلى أمل أن نلتقي السبت المقبل إن شاء الله.. أحبكم جميعا.